Journal Of the Iraqia University (77-1) 30 September (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الوعي الانزياحي في رواية "لم أعد أبكي" للكاتبة (زينب حنفي).

م.م. أسماء طاهر ذنون سعدو

وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى

Displaced Consciousness in the Novel "I No Longer Cry" by Zainab Hanafi

M.M. Asmaa Taher Dhunoun Saado
Ministry of Education/General Directorate of Education in Nineveh Governorate
alzawyasma1@gmail.com

الملخص:

إنَّ قدرة الذوات الكاتبة تتحدّد بقدرة الفعل الإبداعي على كسر النمطيّة المعتادة، والتفكير خارج الإطار التقليدي لغويًا وفنيًا وشكليًا بصورة واعية. فالوعي حالة إدراكية، وقد يُسمّى بالوعي المائل أو الوعي المغاير لانحرافه عن المألوف وكسره للجمود العقلي، ممّا يعزّز الإبداع والابتكار. فالذات الكاتبة، حين تدرك القوالب النمطية وتكتشف الزوايا الجديدة، وتوظّف التساؤل النقدي توظيفًا دائمًا، تعزّز في بنية النص مرونة العقل؛ لأن النص صوتٌ آخر يحاكي القارئ والمتلقي.زينب حنفي:كاتبة وقاصّة وروائية، من مواليد مدينة جدة (المملكة العربية السعودية) عام ١٩٦١م. تخرّجت في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٩٣م. كتبت مجموعة من المقالات التي استطاعت اختراق التابوهات التقليدية التي سيطرت على المجتمع من أبرز أعمالها: (نساء عند خط الاستواء، عقل سيّئ السمعة، رسالة إلى رجل، وجدانيّات، قيدك أم حريّتي، الرقص على الدفوف، هناك أشياء تغيب، مرايا الشرق الأوسط، الأعمال الكاملة، لم أعد أبكي، إيقاعات أنثويّة، ملامح، سيقان ملتوية، وسادة لحبّك، هل أتاك حديثي، الشيطان يحب أحيانًا، بالأمس كنت هنا)الكلمات المفتاحية : (الوعي، الانزياح، أسطرة الذات) .

Abstract:

The ability of writers is determined by the capacity of their creative act to break with conventional patterns and consciously think outside the traditional framework—linguistically, artistically, and formally. Consciousness is a state of awareness, sometimes called "inclined consciousness" or "different consciousness" because of its departure from the familiar and its breaking of mental rigidity, thus fostering creativity and innovation. When a writer recognizes conventional patterns, discovers new perspectives, and consistently employs critical questioning, they enhance the flexibility of the mind within the text's structure, because the text becomes another voice that engages the reader and recipient.**Zainab Hanafi**:Writer, short story writer, and novelist, born in Jeddah, Saudi Arabia in 1961. She graduated from the Faculty of Arts at King Abdulaziz University in 1993. She wrote a collection of articles that broke through the traditional taboos that controlled society. Among her most prominent works are: (Women at the Equator, A Mind of Ill Repute, A Letter to a Man, Sentiments, Your Bond or My Freedom, Dancing on the Drums, There Are Things That Disappear, Mirrors of the Middle East, Complete Works, I No Longer Cry, Feminine Rhythms, Features, Twisted Legs, A Pillow for Your Love, Did You Hear My Words?, The Devil Sometimes Loves, Yesterday I Was Here)Keywords: (Consciousness, Displacement, Self-Mythologization).

المقدمة:

إنَّ النشاط العقلي للذوات الكاتبة يفرض منطقة انتباه ذهني، خاصة؛ لأنها تبدأ من المنطقة المخصصة لما قبل الوعي ثم تصل إلى أعلى مستوى في الوعي الذهني الانزياحي , وتلك المستويات الذهنية كانت سابقا على هامس الانتباه فالقدرة على تجاوز المألوف تخلق وعيا مغايرا في إنتاج المعنى الجديد وهو أيضا وعي متمرد سواء أكان من الكاتب أو المتلقي؛ لأن الأول مرسل للتركيب والمعنى والثاني مؤول ومفكك للأثر الجمالي والدلالي.وعليه فإن مهمة الكاتب الأولى هي تحفيز ذاته والقارئ لإعادة صياغة الواقع والنَّص بلغة جديدة, وهُنا فقط يتم بناء عالم من العلامات

والدلالات لأن النَّص فضاء دلالي مفتوح ولتحقيق القراءة النقدية الحديثة لابد أن يراه الباحث ككائن حي متحول له موقف فكري وجمالي إنَّ البحث في الوعي الانزياحي يهدف إلى تقريب صورة الانزياحات الفكرية والوعي الممنهج فعملية التشخيص الذاتية تسعى دائما إلى تشخيص الواقع فيبدأ كاتب النَّص بعملية الإبداع والخروج عن الإطر التقليدية وتطوير لغة الخطاب، ويشارك المتلقي في إعادة القراءة وإنتاج المعنى الجمالي إذ ((لايمكن أن تنهض الحياة العربية، ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهض البنية التقليدية السائدة للفكر العربي)) (أدونيس،١٩٩٤: ٢١) وبهذا الطرح نستنتج مفاهيم الهدم التي يمارسها المرسل والمرسل إليه أمام الهذيان الفكري وهو تخليص النَّص من مرجعية (القيد، والعقل، والذات) أن الصورة المتشكلة من الانزياح الفكري بكل ما تحمله من مواطن المنع تستهدف نماء وعطاء الذات ووعيها المتحول وهو طبيعة بيولوجية حتمية للتطور الفكري ومهددات الذات واستلابها، فالفكرة المترسخة في العقل البشري الحديث لا تمثل دائرة الاخضاع في التفكير الانساني السابق (ناريان وهاردنغ، د.ت: ٢٨)؛ لأن الأفكار المضادة في الثقافات بدأت بالانزياح التلقائي فتغيير الوعي ولغة الخطاب فالسؤال المحوري هنا: كيف تتم عملية التوازن الفكري وتأسيس الفهم المغاير مع كسر الحواجز المعرقلة ومنها هيمنة الخطاب وسيادته.إنَّ تطور الوعي الإدراكي الانزياحي يعود إلى تطور وعي الذات والوعي بالآخر والواقع وهو إعادة تحليل وتشكيل المعنى بطرق مفتوحة، فالإنسان ((لا يستطيع أن يعطي معنى لوجوده إلا عبر اللغة التي تعبر عنه , والتي تكونه، فهي تركيبة لغوية يتوخى من خلالها التعريف عن ذاته بكل رغباتها)) (حب الله، ٢٠٠٤: ١٢) وعليه فإنَّ تشكيل الانزياح عبر اللغة هو للتعبير عن مكامن النفس وبيان الحواشي النفسية التي يلحظها المتلقي في توجيه مجهوده الذهني لاستيعاب المفردة وانزياحها عن المعتقد وتجاوزها الخطاب الوظيفي .

أهمية البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق بعض الأهداف من أبرزها:

- الكشف عن تجليات الوعي الفكري في المتن الروائي .
- بيان عملية التكامل الفكري وجمالية النص .
- إبراز أثر الصورة البلاغية على حالة الشخصية , وتطورها النفسي والانفعالي.
- كسر النمط التقليدي وإنتاج انزياح دلالي مفتوح أمام متلقي النص.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة دراسة البحث على تساؤل جوهري :

- مدى أسهام وعي الذات الفكري والانزياحي داخل المتن السردي .
- ما طبيعة الانزياح داخل بنية النص؟. وما ابعاده النفسية والاجتماعية على الذات؟.
- إنَّ الانزياح بطبيعته يعمق البعد الجمالي , فهل أحدث صدمة على تلقي القارئ؟ .
- هل توجد علاقة وعي الذات الكاتبة وانزياحها ؟. في عملية البناء الفني للنص.

فرضيات البحث:

تتحدد فرضيات البحث على النحو الآتي:

- إنَّ الوعي الفكري يمثل في المتن أداة كاشفة عن التحولات النفسية والاجتماعية، إذ يظهر للقارئ التحولات والتأملات الداخلية في لفة الخطاب.
- يكشف المتن عن وجود علاقة تكاملية بين الوعي والانزياح، إذ يسهم الثاني في الكشف عن عمق الوعي غير المباشر.
- يتدرج الوعي في حالة الانكسار ثم الإدراك، وهنا يظهر التصاعد في الانزياح الفكري.
- يستعمل الانزياح بوصفه تقنية فنية؛ لأجل تكثيف المعنى الدلالي وإضفاء البعد الجمالي.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي، ولتحقيق القراءة النقدية الحديثة، لابد أن يرى الباحث النَّص ككائن حي متحول له موقف فكري وجمالي وإنَّ البحث في الوعي الفكري الانزياحي يهدف إلى تقريب صورة الانزياحات الفكرية والوعي الممنهج، وولوج القارئ إلى الجانب الفكري يستدعي منا توجيه العناية نحو ثلاث محاور وهي:

المحور الأول: أسطرة الذات المحور الثاني: أنزياح الوعي الفكري المحور الثالث : سؤال الهوية

المحور الأول: أسطرت الذات

إنَّ تركيز الذات الكاتبة على انفعالات الشخصيات يهدف إلى تضخيم الذات وجعلها أكبر من الواقع فتخلق من شخصياتها رمزا بطوليا فعملية تضخيم الدور في الوصف يساعدها في تعطيل زمن السرد .وقارئ الخطاب في رواية (لم أعد أبكي) للكاتبة زينب حنفي يستشعر طريقة التوظيف القائمة عملية الدمج بين ضمير المتكلم وتقنية الوصف، والتركيز على قضية حجب الثقافة في العقل الجمعي وهو ما يعري طبيعة الحقائق والجانب المسكوت عنه في المجتمع العربي السعودي بشكل خاص وكأن هدفها المقاربة بين ما هو متجاور ومتقاطع لكنها من زاوية أخرى تركز على هوية المكان وسلطته الضائعة.إنَّ الذات الكاتبة تسعى إلى جذب القارئ عن طريق رسم الانفعالات الخارجية والداخلية للذوات وتشكيل الصورة المترسخة التي تدفع القارئ إلى التعاطف والاستمرار في البحث عن النهايات المعتادة فحركة الذات واضطرابها وهي تواجه فقدان الأب يزعزع جزء من استقرارها النفسي فتبدأ بتقبل هويتها المضطربة وهنا تصف لنا الذات المضطربة بقولها:((كنتُ وحدي داخل دائرة الضوء الخافت في حياتها مما أدى إلى تكالب الأمراض عليها، حتى ظهرت عليها ملامح الشيخوخة وهي ما زالت في ريعان شبابها... وعندما كبرتُ وبدأت أدرك ما يجري من حولي ...كنتُ أحمل في أعماقي لا شعوريا عتباً داخلياً على أبي لأنه لم يحاول لملمة الخلافات التي حصلت بينه وبين أمي إلى جانب حرصي على مراعاة مشاعر أمي التي أفنت زهرة شبابها من أجلي. ظل إحساسي حين أرى إخوتي يتحلقون حول أبي وهم يتضاحكون فأتذكر أمي وأحسُ بغيوم الغم تحوم فوق رأسي وتتسرب المرارة إلى أعماقي لأني حُرمت مبكرا من دفءِ الأسرة ومن تذوق طعم الحياة الطبيعية))(حنفي،٢٠٢٣: ٢٢)يوضح النص حالة الفقد التي تسيطر على الذات على الرغم من قصور وعيها في مرحلة الطفولة إلا أن مراحل التمييز المبكرة كونت لحظة انفصال والديها شخصيتين الأولى شخصية مضطربة لا تتحكم بلحظات الفرح كون الذكريات المسبب الرئيسي في عملية الاسترجاع التي تشكل ارتداد لحالة الألم.وعلى الرغم من قصور الوعي الأولي، لكن عملية التميز النفسي بدأت تظهر أثناء حديث المونولوج الداخلي فالذات الكاتبة تمزج بين السرد والوصف النفسي بضمير المتكلم الموضح لحقل التفكك الأسري وتأثيره على بطلة الرواية وهي تعيش صراع الولاء بين الأم والأب، فلحظة التحول الأنزياحي لديها تبدأ من جملة (بدأت أدرك ما يجلي حولي) التي تضعها بين منعطفين إدراك عاطفي وإدراك عقلي محمل بالألم بقولها: ((كان يرسل في نهاية كل شهر مظروفا يحتوي على مصاريفنا إلى جانب تحمله تكاليف علاجها كافة... أما أحساس الأب بالذنب غير المعلن تصفه كنت أحمل في أعماقي, لا شعوريا عتباً داخليا على أبي... ظل إحساسي بالوحشة والاغتراب يصاحبني في كل مرة أطرق فيها باب بيت أبي بل كانت الغيرة في كثير من الأحيان تتحرك في أحشائي)) (حنفي،٢٠٢٣: ٢٣-٢٤) يشكل الارتداد أسلوب انفعالي للرفض الواقع بعد سلسلة الخلافات الاسرية والشعور بالخذلان على الرغم من محاولة الأب اصلاح الماضي إلا أن النضج العاطفي في احتواء الأزمة لم يفلح فتحاول الذات الكاتبة طمس الحساسية الزائدة برسم أحداث متتابعة وثابتة وعدم كسر أفق توقع القارئ بالمفارقات السردية المتأزمة للمشاعر الداخلية التي قد يتشكل فيها بعض العقد الداخلية وعليه فإن تحويل مسار السرد وإبراز الحاجز القائم بين الذات والأخرين يجعلها تستنطق الدلالة التعبيرية لانحراف الذات وإبراز صوتها وهنا تتحدد الغايات القصدية، فدينامية الأحداث تتجه نحو الغايات القصدية التي ترسم صورة متجذرة للأفكار والسلوك التي تتبع الانفصال، وهنا تصف في بناء المشهد أثناء تداعي الذكريات بقولها: ((كنت أحس عندما لا أراه بأنني تائهة، وثمة شيء مجهول ينقصني. وأظل أبحث عنه في أرجاء البيت ولا أهدأ حتى تقع عيناي عليه، فيحملني عن كتفه، ثم يصحبني إلى غرفته ليلعب معي لعبتي المفضلة.))يوضح النص الوعي الانزياحي الناتج من تداعي الذكريات، فلحظات الانفعال والانكسار مدركات لا يمكن تجاوزها تبقى متاحة مع كل حالة اخفاق نفسي وهنا الذات تسعى إلى اسطرة الرموز كدلالات نفسية وجسدية فتجعل بطلتها تواجه احاسيس مختلطة بين الحنين والغبطة الناتج من الانهيار الأسري، وشخصية زيد تعد حلاً اضطرارياً تتجاوز به الواقع الأسري وهو اشبه بآلية دفاعية تعوض بها الذات الكاتبة بطلتها عن مشاهد التوتر الداخلي إلا أن زيداً يخترق الجسد سطحيا دون وعيها بأهمية الجسد كونه هوية يتم اقتناصها مع كل لقاء بشكل متكرر .فبين التحرّر وعدالة التوازن النفسي لنهوضها اجتماعيا واحساس الذات بذاتها تتشكل الثنائية التناقضية القائمة على سلطة الذات والمجتمع وسلطة الذات والآخر(العيد،٢٠٠١: ١٤٠) إنَّ عملية توظيف المرجع الثابت في لغة الخطاب الروائي يؤدي مقصدية ذاتية تحدد اتجاه لغة الخطاب نحو الرؤى الفكرية الموغلة وبراعة الاستدعاء الذهني تكمن في عملية التقريب التي تجذب القارئ ثم تدفعه إلى الفهم وإعادة إنتاج الخطاب التأويلي إذ تشكل الصورة تراث راسخ وفاعل في العقلية الجمعية المنبثقة من التجربة الإنسانية التي ترتبط بالذات واطارها المرجعي ومعترك الفكر الإنساني(حداد، د.ت: ٨٣) وعليه فإنَّ تجسيد الذات الكاتبة لمجمل الصور الراسخة يهدف إلى تقريب انزياحات الذات فكريا وبداية وعيها الممنهج وهنا تنجح الذات الكاتبة في إعادة ترتيب الصور وغلق الفجوات إمام العقل الجمعي .

المحور الثاني: أنزياح الوعي الفكري.

لقد ظهر المفهوم في سياق لغة الخطاب الحديثة وهو من المفاهيم النقدية التي بنيت عليها لغة الخطاب والوعي فيه والنص الحديث هو ديناميكية فكرية تشكل المعنى ومعنى انتقال الفكر من مستوى دلالي مرسل إلى مستوى دلالي آخر من المرسل إليه.إنَّ حركية فكر الذوات تتحدد من جانبين التجربة والزمن ؛ لأن طبيعة الانزياحات الفكرية ترتبط بطبيعة الموقف ووجهة النظر فضلا عن أتساع الإدراك والتحليل فتبدأ عملية التغيير والفهم بشكل تلقائي إن الأنزياح من وجهة نظر منذرعياش هو((إما خروج على الاستعمال المألوف للغة وإما خروج على النظام اللغوي نفسه...هو خروج عن جملة القواعد بقصدية الكاتب المتواضع عليها، وبعبارة أخرى؛ إن الأنزياح هو كسر للمعيار، حيث يخرجها من أسلوبها المألوف إلى أسلوب جديد غير مألوف))((المسدي،١٩٩٥: ٣١)فالذات الكاتبة تسعى إلى الخروج عن النمط التعبيري لمعالجة حالة الفقد التي تسبب فيها الحزن والفراغ الوجودي إذ تصف لنا الذات الراوية انزياح الذات بقولها: ((سرعان ما انجذبت نشوى نحوه، تسهر معه ساعات على الهاتف. حاول استثمار غرائزها حتى ترضخ له وتلتقيه في شقته، لكنها كانت تصر في كل مرة على ملاقاته نهارا في واحدة من " الكافتيريات " المنتشرة في الفنادق الكبرى. وضعت نصب عينيها أن تتزوج هذا الرجل، وحققت رغبتها فعلا بعد مرور أشهر قليلة من تعارفهما. ملأها الغرور عندما وصل إلى مسامعها الهمس الدائرحولها بأنها امرأة محظوظة، لأنها نجحت في الحصول على ثروة ضخمة بزواجها برجل مسن، لتتمتع بها بعد فترة وجيزة مع شاب مقارب لسنها لم يسبق له الزواج من قبل ... اكتشفت أن ربيع باع أملاكها كافة التي ورثتها عن زوجها السابق وعن والدها بالتوكيل العام الذي معه)) (حنفي،٢٠٢٣: ٣٥-٣٩)يجد القارئ في النص سؤالاً يُطرح ما القوانين التي تحددها الثقافة الذكورية للمرأة ؟. وكيف تساعدها في تحديد وظائف الجسد لإشباع رغباته النفسية والجسدية ؟. هل يوجد تباين في طبيعة العلاقة بين الضعف والقوة تساعد الذات في الاختراق أو الانزياح الفكري؟.إن لغة الخطاب في النص تفسر الثقافة والصورة الثابته التي قد تكون مرتكز معرفي يجعل المرأة ممتنعة وراغبة في الوقت ذاته فتخترق ذاتها قبل الآخر وتحدث انزياح في إنتاج منعطفين الأول يرتبط بالصورة السلبية وعقلية الرجل كون المرأة موضوعا للجنس والثاني المنحى المغاير للنجس فتحدث تشظي عقلي يهدف إلى جذب الآخر نحو الزواج الدائم وبهذا تحقق الانزياح الحقيقي بهدف إنتاج الوعي المغاير. وعليه فإن المرأة هنا تتحول من المفعول إلى الفاعل إلا أن المفعول لم يحقق لها غايتها بشكل مستمر فمسار التلاعب كان مسارا يلاعب فيه أزمة الانزياح طمعا منه في الحصول على الثروة التي تمتلكها ولأجل تحويل الألم إلى وعي تتجه الذات الكاتبة إلى التركيز على ومواجهة الحدث السلبي بسيمياء الوجه لتكسر في الحدث التصويري أفق التوقع فتقول: ((بلا مقدمات، أود العمل في الصحافة، وأريدك أنّ تساعديني. لقد طرقت أبواب الكثير من الصحف لكنني لم أتلق ردا من أي منها. كل ما سمعته مجرد وعود... خذي كلامي على محمل الجد وسأثبت لك خطأ نظرتك. إنني قادرة على مواجهة العالم بأسره من أجل تحقيق حلمي . سأثبت لك أن المرأة قادرة على تثبيت قدميها في هذا الطريق الوعر , ما دامت تلك الإرادة والتصميم والعزيمة)) (حنفي،٢٠٢٣: ٤٣-٤٥)إنَّ الإشارات تضعنا في دائرة النقاش قبل كسر أفق توقع القارئ ؛ لأن عملية إبراز الصورة المتماسكة هنا يعزز قوة الشعور بالألم. فهل المقصود هو تعظيم صورة المرأة وثباتها في الانزياحين ((القوة والضعف فالحرب الناعمة تتحدد في مرحلة الوعي والتجارب الخاصة وما حدث لصديقتها كسر حاجز التفكير بما ينتج من القوة المحركة والمدركة وهنا تضع البطلة أمام المحسوسات الغائبة المرتبطة بالسلطة الأبوية محاولة منها لابعادها عن الفكرة , فتضع البطلة أمام الانزياح الفكري مع إيمانها بثباتية الصورة للمرأة بشكل خاص إذ تحاول الذات الكاتبة استنطاق الصوت الداخلي عن طرق الكتابة الذي يشكل عاملا للإبداع والتخيل واتساع محيط المغامرة.))(عبيد،٢٠٠٥: ٢)إنَّ الصورة الذهنية في كل مشهد تحتاج إعادة تشكيل لإبراز مكامن الصراع الفكري وقوته وهنا تصف لنا الراوية صورة المجتمع فكريا فتقول: ((على رسلك يا غادة، أنت متحمسة أكثرمن اللازم. وهل أنتِ التي ستحطمين الأغلال بقوة عضلاتك "الشمشونية"؟!... ابتسمت نشوى. نظرت إلى صديقتها بحنوٍ. قررت أن تفعل المستحيل من أجلها. كانت تدرك جيدا حجم الألم الذي تجرعته غادة بعد التجربة القاسية التي مرت بها في طفولتها)) (حنفي،٢٠٢٣: ٤٤-٤٥).يوضح النص استشعار الصورة الذهنية المعاكسة التي تعد مرآة لتشكيل الخطاب وتدخل الذات بأسلوبها الساخر يهدف إلى انزياح فكري يرتبط بحبكة النص وسد النواقصي؛ لأن السخرية لون فني يتطلب من المرسل سرعة بديهة عالية لاحداث الفعل فكلاهما يدرك النواقص.إنَّ لجوء الذات الكاتبة إلى الجانب النفسي كمنكزم دفاعي ووضع البطلة في حالة من جلد الذات فجملتها (وهل أنتِ التي ستحطمين الأغلال بقوة عضلاتك "الشمشونية" ؟!)التي تحمل داخلها سؤالا وعلامة تعجب تشكل بحد ذاتها مفارقة ساخرة وميل نحو مكان التموضع أي هامش الوعي فالذات هنا تعلن في خطابها عن فقدان الأمل وعملية التصالح ؛ لأنها في حالة من الاستيعاب الداخلية بإن الصورة متجذرة فكريا في العقل الجمعي. وعليه فإنَّ المشاركة في الحوار يمثل مشاركة للقارئ أيضا فالاحداث المتصاعدة تقود الحدث إلى تخطيط تصاعدي يحدد الحالة النفسية التي تكون عليها صورة الذات" ثابتة أو متحركة " قرارات الآخر ورفضه مجال الصحافة، المعرفة المسبقة بالتقاليد المجتمعية ونظرة المجتمع والآخر لصورة الأنثى ومجال عملها، وهنا تعترف الذات بالحداثة الفكرية وإنزياح الوعي الفكري الذي

يفضل بين منعطفين اساسيين هما: سلطة النظام الأبوي وسلطة الذات على نفسها.إنَّ سعي الذات الدائم في السير خلف النتيجة التي تحقق لها فعل ممارسة الرغبة في المستوى الواقعي يجعلها تصطدم بالفعل المؤسس للحدث والوعي مما يجعلها تعيش صورة ثابتة لطبيعة المرأة والبحث عن أسباب النكوص والتأثير والأثر وعلاقتهما فتدفع نفسها إلى التفكير وتحديد بؤرة القراءة التفسيرية بقولها: ((هذه كلها أحكام مغرضة تم نشرها في مجتمعاتنا العربية للحط من مكانة المرأة، حتى أصبحت بمرور الوقت من المسلمات. الحاصل اليوم ما هو إلا نتيجة حتمية لما يجري تلقيه عبر المؤسسات التربوية والتعليمية، ويتم ترديده صباحاً ومساءً في قنواتنا الإعلامية... تكتشف أن معظمها ساهم في إفساد الرجل من خلال دفع المرأة إلى إنكار ذاتها كأنّها ليست آدمية لها مشاعر وطاقة محددة على الاحتمال، إلى أن أصبحت حقوقها تُنهب أمام ناظريها وهي صامتة)) (حنفي،٢٠٢٣: ٥٣-٥٩-٦٠)يوضح النص حوارا ممنهجاً بأواصر الثقافة المغلونة بالثقافة الذكورية التي قيدت حدود المرأة وجعلت صورتها في طور الثبات وتدخل غادة هنا يأتي بهدف إعادة التشكيل لإنتاج خطاب أنثوي يعانق رغبتها ورغبة كل أنثى، فعملية الانتقاد تفسر الآراء النمطية لبعض الزميلات وتلقي اللوم على الجنسين في عملية رسم صورة المرأة وتحديد مسارها ؛ لأن طبيعة جسد الأنثى معد كمعادل موضوعي لإثبات الوجود وهو مصدر اختلاف في الوقت ذاته إلا انها تتميز بالذكاء والإبداع وهما عاملان مساعدان لاسترداد ثقتها المفقودة بذاته(كدو،د.ت:١٧٢) إنَّ ظفر الذات بالمعلومات من جوانب مختلف وعزوف أخرى له أسباب خاصة وهي نسق التواجد في المكان المشبع بالقيم الإقصائية الأبوية، فانزياح الوعي عن تلك الثوابت يعود إلى المرأة بالذات وحوارها الداخلي وهنا على الذات الكاتبة السيطرة على الوعي الناقص في لغة الخطاب الملازم للمرأة على مر الأزمان ومهمتها كمحرر للشخصيات تتحدد في سحب البساط وجعل بطلتها تنزاح فكريا عن التابوهات الضيقةوعليه فإنها تسعى إلى إعادة المبدأ لكن بطريقة الشراكة وترك حوار النقيضين الدائم وهنا تبعد النساء عن النظرة الضيقة والمتحيزة فتبدأ المشاركة في الخطاب وإنتاجه وإعادة مبدأ الهيمنة على أساس مبدأ الشراكة وليس النقيضين وبحسب هذه النظرة تبتعد النساء عن النظرة المتحيزة، فتشارك في الخطاب وإنتاجه لتعيد الحياة للصورة الثابتة، لأجل اضفاء دلالات جديدة وهنا نجد وتضفي عليها دلالات جديدة، وهي على "بورديو" يصفها بإنها عملية إعادة إدخال للفعل التاريخي الذي يعيد بناء العلاقات ويوحد الرؤية في اتجاهها الطبيعي والجوهري(بورديو،٢٠٠٩: ١) إنَّ تركيز الذات على توسيع آفق الفكر يهدف إلى إزاحة الوعي التقليدي والمساحات المعتمة التي تعترض المرأة في الواقع المعاش والإنموذج المتشكل في خطاب رواية " لم أعد أبكي " لا يمثل المتن بديل للخطاب المضاد. إنَّ مقاربة الصورة السردية بين العالم المتخيل والواقعي يأتي بهدف معالجة الهيمنة والممارسات الاستبدادية عن طريق التفكيك فعلى الرغم من مساحة التناغم والتوازن إلا بعض الشخصيات في المتن تتعرض للإقصاء ومناطق اشتغال النص هو التركيز على الفضاءات قديما وحديثا بإعادة صياغتها على وفق فكرة النص ومعايير تراها الكاتبة لتمثيل الذات لغويا بمجمل ما تتعرض له من انزياحات فكرية ونفسية وجسدية .

المحور الثالث: سؤال الهوية

إنَّ المواقف المتباينة التي تكشفها الحوارية في المتن الروائي توضح للقارئ العلاقة بين المرسل والمرسل إليه وحدود الهوية وما تطرحه الذات , فالهوية تعد مفهوما ذي اشكالات متعددة , وهي معطى غير ثابت في متن الرواية , إذ تظهر بوصفها أزمة نفسية مستمرة بين الحاضر ,والماضي ؛ ولأنَّ قارئ النص ((لايمكن أن يرى في الهوية تقوقعا على الذات , كما أنه لا يمكنه أن يرفض الانفتاح على الآخر)(حمود،٢٠١٦٣: ١٦)إذ حتكم الذات إلى الانسجام مع ذاتها مع فقدان القدرة على الإحساس بالهوية المهزوزة ففي دلالة " لم أعد أبكي " معطى رمزي والانزياح عن الجفاف العاطفي والتمزق الداخلي, فالدفاعات الذاتية تنطلق من انزياح الذات داخليا وخارجيا ؛ لأن المنطق العقلاني لبطلة الرواية يدفعها إلى مواجهة الذات بشكل استفهامي فأي أمر يصدر منها داخليا هو نتاج ((رد فعل وليس فعل ومصدر ردود الأفعال هو الإحساس وهو فاعلية بدنية))(الجابري،١٩٩٩: ١٢٠) ولأن الذات الكاتبة تسعى إلى الغاء الموقف العاطفي والوقوف على إدراك تشظي الذات بين موطنين نجد الخطاب يتجه إلى محاولة الإقناع فتقول :((لا يدرك قيمة الأوطان إلا من أجبر على مغادرتها قهرا. لا تعتقدي أن الوطن لعبة في أيدينا أو مجرد كلمة نُدرجها في خانة صغيرة بتجاوز سفرنا , مهمته محصورة في تجاوز حواجز المطارات والتنقل عبر القارات. الوطن أسمى من أن نغامر به. غدا عندما ينضج فكرك, ستعين كلامي هذا جيدا وتفهمين ماذا يعني الوطن . ستدركين لماذا يضحي الإنسان بروحه من أجله. إنما بذرة الانتماء التي تلتصق بأحشائنا وتكبر معنا , وتشعرنا بقيمتنا كآدميين))(حنفي،٢٠٢٣: ١٣-١٤) يوضح موقف الذات نسق ايديولوجي لفكر آخر مغاير؛ لأنَّ الذات تسعى إلى التأكيد على الإحساس وانزياحه الفطري, وكأن الذات الكاتبة تحدد العلاقة العميقة التي تربط الإنسان بالوطن , فعملية الإدراك هنا تتحقق في أغلب الأحيان لحظة الفراق أو الابتعاد القصري إنَّ الهوية هي تجربة شعورية تربطها الذات الكاتبة بلحظة الحنين والألم فتحدد الهوية الوجودية قبل الوثيقة أو جواز السفر وهو تعريف آخر للهوية الطنية تتجلى في لحظات الفقد والاغتراب, ولأنها تدفع بطلتها إلى تقديم

الدفاعات الذاتية تختار لفظتي (أجبر , قهرا) لتقدم الانزياح الفكري القهري فتقترب من الصورة المتناقضة بإدارة عدستها عن سؤال الهوية فتجاوز المنعطفات الداخلية والخارجية يجعلها لا تكترث للانزياح المكاني وهنا يصف لنا طلال الفرق بين وجهة نظره للهوية ووجهة نظرها قائلا: ((أنا أرى الأمان يعني أجاهر بما أؤمن به , وألا أجلس صامتا أتفرج على أبناء وطني وهم يختالون أمام ناظري بأثواب مبهرجة فاقعة الألوان كالتي يلبسها المهرجون وهم يمارسون ألعابهم البهلوانية... مازلت أؤمن بأن قيمتي كإنسان تنبع من قدرتي على التفاعل مع مجتمعي وعلى تغيير سطحه الراكد)) (حنفي،٢٠٢٣: ٤٣-٤٤)يأخذ الخطاب الأسلوب الاستهجاني أثناء شرح طبيعة الاختيار,فوصف مراحل التشنج التي تواجهها الشخصية هو تحديد صريح بوجود فجوة تستنزف الاحساس وترجمة لأسئلة الهوية الشخصية ولأجل ديمومة النمو الهوياتي تسعى الذات هُنا إلى الاحتكاك مع الاخر ؛ لأنَّ الهوية مشتركة فالهجمة الشرسة تشكل لديه صراعا فكرياً فالمثقف ((لايمكن أن يرى في الهوية تقوقعا على الذات , كما أنه لايمكنه أن يرفض الانفتاح على الآخر))(حمود،٢٠١٣: ١٦)إذ يمتلك نظره خاصة ويسعى دائما إلى أخراج هويته من حيز الخوف والتقوقع والجمود الذاتي , واستنتاج الخصوصية الذاتية فالهوية لا تعطى لمرة واحدة بل هي حقيقة تولد مع الإنسان وتنمو وتتغاير ثم تشيخ في ظل الأزمات ومنها الوجودية والشعور بالاستلاب(ميشيلي،٢٠٠٩: ٧)وفي موضع آخر نجد الذات الكاتبة تركز على هوية المرأة في المجتمع الأبوي وبالذات المجتمع السعودي فتصف في حوارية هوية المرأة بقولها : ((اعذريني لم أسمع طول عمري عن صحافة سعودية ذاع صيتها في الآفاق . أنت يا صغيرتي تعيشين في بلد مكبل بقيود اجتماعية كثيرة, وهي بالتأكيد ستعيق طموحاتك . ولا تنسى أن مجتمعك يطفح بالذكورية قد يكون في كلامك الكثير من الصحة. صحيح أن حقوق المرأة مدجنة في مجتمعنا السعودي نتيجة العادات والتقاليد التي توارثناها , لكن ألا تتفقين معي على أننا يجب أن نسعى إلى تحطيم هذه القيود بدلا من الاستسلام لهآ؟!))(حنفي،٢٠٢٣: ٤٤)إنَّ وعي الذات الكتابة بأهمية هوية المرأة وكيانها الوجودي وما يتحقق من نشاطها المهني والثقافي جعلها تناقش صورة المرأة وتمثلاتها في الأفعال المصاغة من صوت الذات , إذ تسعى الذات إلى استحضار الصورة وما يطغى عليها من تهميش متكرر فدلالة الافعال الموظفة هُنا (أسمع ,يطفح, تتقين , تحطيم) تترك في ذهن المتلقي انطباعا عن الوعي الفكري وأهمية الانزياح التدريجي عن طاقة المنظقة المحظورة وعليه فإنَّ تداعيات الزمن النفسية هي دلالات هجومية مضافة تضع الذات ((بين إيقاع الذات والحياة والواقع , وإيقاع الجسد الثائر؛ مما يؤكد طبيعة السرد عند المرأة, قائم بين تجاذبات الذات)(بن السائح، د.ت:٧١)أي أن إدراك الذات لفكر الآخر المغاير هو علامة من علامات الانزياح عن الاطر التقليدية وتركيز النص هو نزوع واحتراق للنسخة المتوارثة وتوظيف هذه الشفرة في المسار النصي يثري النص ويحقق تحولا في العلاقات والنظرة والحوار التفاعلي, وفي هذا الإطار تتحدد الهوية وإزاحة الرؤية التقليدية , وعملية إستفزاز القارئ هي إستفزاز للمجتمع لغويا دون الصدام العلني .إنَّ البناء التخييلي وتوظيفه كفعل وفاعل ولغة يساعد الذات الكاتبة في اثارة الرؤية الرامزة نحو الهوية وتأويلها في الفكر الإنساني, فاقصاء الذات يبدأ من شعور الذات بالاستلاب والقبول بالاستلاب فضبط التفكير وطبيعة الوجود يتطلب من الذات السيطرة على الصراع الداخلي والخارجي ,وهُنا يأخذ الخطاب حدود التطلعات الفكرية البمتجذرة التي ترفض وجهة النظر نتيجة الاضطراب النفسي إذ تصف هوية الرجال قائلة:((كل الرجال الشرقيون في نظري سواء. يتظاهرون بالتحضر وفي دواخلهم يحملون عقد موروثاتهم الاجتماعية, مهما نالوا من شهادات علمية, ولو جابوا الدنيا شرقا وغربا . سوف تؤمنين بكلامي يوما ما.

ردّت غادة بعصبية:

_ أتدرين ما مشكلتك يانشوى ؟! تصرّين على الحكم على الرجال من منظار تجاربك المرتبطة برجال من طينة معيّنة ؛ رجال مثل وطاويط الليل , لا تقابلينهم إلا في أماكن مشتبه فيها, وفي مثل وطاويط الليل !! لاتقابلينهم إلا في أماكن مشتبه فيها, وفي الهزيع الأخير من الليل!! هذا الصنف من الناس ياصديقتي يختلف تماماً عن الذين يمارسون حياتهم في وضح النهار.)) (حنفي،٢٠٢٣: ٩٤)توضح الحوارية الهوية المفقودة للرجل , فصوت الأنثى المنكسرة هُنا من توالي الخيبات يدفعها إلى التحدث بالصوت الداخلي الحاد لمفهوم الهوية الذكورية .إنَّ طرح الذات السؤال الاستنكاري وهو نتيجة لوعيها الداخلي وصراعها الفكري وانزياحها بين الرؤية المتشنجة والأكثر عقلانية , وهُنا تحاول الذات الكاتبة التركيز على أثر الانزياح النفسي وما يحدثه الاضطراب على الصعيد الشخصي وتبني الموقف العدائي من الآخر ؛ فإشكالية الهوية تتحدد في جملة (يتظاهرون بالتحضر وفي دواخلهم يحملون عقد موروثاتهم الاجتماعية) إذ تكشف عن الازدواجية وانزياح الذوات وصراعها المستمر بين الحداثة وموروثها ومقصدية خطاب الصوت المقابل يأتي بهدف تفنيد الحكم وازاحة الوعي الفكري المتجذر وهو نتاج التوتر النفسي الداخلي لا ينعكس كوجهة نظر ؛ لأن طبيعة الحكم لا ترتبط بسلوكيات الافراد وهذا ما يجده القارئ في دلالة بعض الكلمات (الليل , وضح النهار) فالتعميم والتقابل فيهما دلالة على التناقض الكامن في الخفاء والوضوح وتقديم النقد يستهدف هنا تفعيل الوعي وازاحة التجارب القاسية التي تواجه ابطال

الرواية فتنقل المشكلة من مستوى الوعي باللهوية الجمعية إلى الانزياح نحو السلوك الفردي إنَّ الحوار الجدلي القائم نتيجة معاناة نفسية مما يجعل المرأة بشكل دائم تقرأ المجتمع بعين الألم وهو أمر طبيعي في طبيعة المرأة العاطفية وعليه فإن النَّص هو إعادة التوازن لا يهدف إلى أستهداف هوية الرجل بالذات فتخبط الذات وسيطرة الحقد وتجاربها النفسية جعلتها تعيش ((حالة نهم غير محدودة رغبة في المسخ))(لومونييه ولانسولان، ٢٠١٥: ٣٣)لهوية الرجل إلا أنها تواجه مركزية الحضور الحقيقة وخالق مناخ ينأى ويخترق تفاصيلها النفسية وهنا تحرك الذات الكاتبة راويتها عن طريق الحوار عدستها السردية لتقدم لقارئها وصفا فكريا دقيقا لعملية المقابلة الصورية.وفي موضع آخر نجد الآخر يحاول جعل الذات " غادة " تركز على هويتها فيقول : ((عليك أن تنتبهي إلى أنك وسط رمال متحركو قد تسحبك إلى قاعدتها من دون أن تملكي حيلة تخليص نفسك منها, وأنت لاهي في التهام سطوري , ولكنني واثق بأنك بقدر رقة عواطفك , أنت صلبة في أعماقك , وقوية في مواجهة ألامك , وأختم رسالتي بمقولة سقراط " إن أعظم امرأة هي التي تعلمنا كيف نحب ونحن نكره, وكيف نضحك ونحن نبكي , وكيف نصبر ونحن نتعذب")) (حنفي،٢٠٢٣: ١٥٤-١٥٥).إن تركيز الخطاب على الخطاب المباشر بواسطة الضمير (أنتِ) يجعل القارئ أمام حقيقة حياة الشخصية ويستشعر ألمها وصراعها الداخلي فصورة (أنتِ وسط رمال متحركة) دلالة على الصورة الاستعارية لحالة القلق وعدم الاستقرار الداخلي التي تؤدي بدورها إلى خطر تصاعد الأزمات النفسية وبالتالي فتجسيد الهوية يظهر من قدرة المرأة على التحمل والمقاومة لفعل الآخر؛ لأن جملة (أنتِ صلبة في أعماقك) دلالة قدرة التعايش والجمع بين الرقة والقوة .وعليه فإن سؤال الهوية لا يرتبط دائما بالهوية الوطنية ؛ لأنه مفهوم واسع قد يدخل القارئ في الهوية النفسية، الهوية الاجتماعية, الهوية الثقافية أو الفكرية , الهوية الوطنية , الهوية الإنسانية والذات الكاتبة تحاول الجمع والانزياح والتركيز على القوة الداخلية الشعورية ,فتنقل القارئ من المعنى الواقعي إلى المعنى الرمزي وبذلك تتمكن من تحقيق وظيفة الوعي بصورة إيحائية رمزية غير مباشرة.

النتائج:

كشف خطاب النص عن هوية الذوات من منظار الصراع الداخلي دون التحكيم العقلي وعدم التكيف مع المعاناة والنزياح عنها.

- إنَّ أنعكاس الهوية النفسية والإنسانية فسر التناقضات الشعورية التي سادت في لغة الخطاب مثل : (نضحك ونحن نبكي) الذي يبين الألم والصبر .
- اعتمدت الكاتبة في خطابها على اللغة الرمزية والانزياح الفكري للتعبير عن الألم الداخلي وصراع الذوات في تجربتهم الإنسانية.
- إن الانزياح في النص يتجلى بوصفه اداة كاشفة للوعي الداخلي الذي تظهره الرواية اثناء الانزياح اللغوي في وصف الحالة النفسية مما يعمق البعد النفسي في النص.
- يرتبط الوعي الانزياحي بثيمة العنف والذي يكشف المعاناة الاجتماعية في المجتمع الذكوري، وهنا يتخذ الانزياح وسيلة لبيان الكبت والقهر الداخلي.
- إن تحليل الوعي في الرواية لم يقتصر على وعي الذات الفردي بل كانت الصورة الانزياحية وعيا صارخا عن قضايا المرأة وتحول صوتها في لغة الخطاب.
- اتسمت لغة الخطاب الانزياحي بوصفه اداة للمقاومة وكسر اللغة التقليدية التي بنية في بيئة المجتمع الذكوري فالانزياحات الدلالية عكست التوتر النفسي وجعل النص مفتوحا قابل للتأويل وإنتاج المعنى.

المصادر والمراجع

١. أدونيس. (١٩٩٤). الثابت والمتحول: بحث في الاتباع والإبداع عند العرب (ج١، ط٧). لبنان: دار الساقي.
٢. بن السائح، الأخضر. (د.ت). الرواية النسوية المغاربية والكتابة بشروط الجسد. جامعة الأغواط.
٣. بورديو، بيار. (٢٠٠٩). الهيمنة الذكورية (ترجمة سليمان قعفراني، ط١٢). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
٤. الجابري، محمد عابد. (١٩٩٩). المسألة الثقافية في الوطن العربي (ط٢). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
٥. حداد، علي. (د.ت). أثر التراث في الشعر العراقي الحديث (ط١). العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
٦. حب الله، عدنان. (٢٠٠٤). التحليل النفسي للرجولة والأنوثة: من فرويد إلى لاكان (ط١). دار الفارابي.
٧. حنفي، زينب. (٢٠٢٣). لم أعد أبكي (ط١). بيروت، لبنان: دار الساقي.
٨. حمود، ماجدة. (٢٠١٣). إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

٩. العيد، يمنى. (٢٠٠١). الرواية العربية: المتخيل وبنيته الفنية (ط١). بيروت، لبنان: دار الفارابي.

١٠.كدو، فاطمة. (د.ت). الخطاب النسائي ولغة الاختلاف: مقاربة في الأنساق الثقافية. الرباط: دار الأمان.

١١.لومونييه، ماري، ولانسولان، أود. (٢٠١٥). الفلاسفة والحب: الحب من سقراط إلى سيمون دي بوفوار (ترجمة دينا مندور، ط١). القاهرة: دار التنوير.

١٢.المسدي، عبد السلام. (١٩٩٥). الأسلوبية والأسلوب. تونس: الدار العربية.

١٣.ميشيلي، أليكس. (٢٠٠٩). الهوية (ترجمة سلمان قعفراني، ط١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٤.ناريان، أوما، وهاردنغ، ساندرا (محرران). (د.ت). نقض مركزية الفلسفة: من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعماري ونسوي (ج١). الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

١٥.عبيد، محمد صابر. (٢٠٠٥). المغامرة الجمالية للنص القصصي (ط١). الأردن: عالم الكتب الحديثة.

References

1. Adonis. (1994). The Constant and the Changing: A Study of Imitation and Creativity among the Arabs (Vol. 1, 7th ed.). Lebanon: Dar al-Saqi.

2. Ben al-Sayeh, al-Akhdar. (n.d.). The Maghrebi Feminist Novel and Writing under the Conditions of the Body. University of Laghouat.

3. Bourdieu, Pierre. (2009). Male Domination (translated by Suleiman Qafarni, 12th ed.). Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies.

4. Al-Jabri, Muhammad Abed. (1999). The Cultural Question in the Arab World (2nd ed.). Lebanon: Center for Arab Unity Studies.

5. Haddad, Ali. (n.d.). The Influence of Heritage on Modern Iraqi Poetry (1st ed.). Iraq: General Cultural Affairs House.

6. Haballah, Adnan. (2004). A Psychoanalytic Study of Masculinity and Femininity: From Freud to Lacan (1st ed.). Dar al-Farabi.

7. Hanafi, Zainab. (2023). I No Longer Cry (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Saqi.

8. Hammoud, Majida. (2013). The Problem of Self and Other: Arabic Novelistic Models. Kuwait: Alam Al-Ma'rifah Series.

9. Al-Eid, Yumna. (2001). The Arabic Novel: The Imaginary and its Artistic Structure (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar Al-Farabi.

10. Kaddou, Fatima. (n.d.). Feminist Discourse and the Language of Difference: An Approach to Cultural Patterns. Rabat: Dar Al-Aman.

11. Lumonier, Marie, and Lancelin, Aude. (2015). Philosophers and Love: Love from Socrates to Simone de Beauvoir (translated by Dina Mandour, 1st ed.). Cairo: Dar Al-Tanweer.

12. Al-Masdi, Abdel Salam. (1995). Stylistics and Style. Tunis: Al-Dar Al-Arabia.

13. Michilli, Alex. (2009). Identity (translated by Salman Qafarni, 1st ed.). Beirut: Center for Arab Unity Studies.

14. Narayan, Uma, and Harding, Sandra (eds.). (n.d.). Deconstructing the Centrality of Philosophy: Towards a Postcolonial and Feminist Multicultural World (Part 1). Kuwait: Alam Al-Ma'rifah Series.

15. Obaid, Muhammad Sabir. (2005). The Aesthetic Adventure of the Narrative Text (1st ed.). Jordan: Alam Al-Kutub Al-Haditha.